

الدرس الرابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه وتستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . اللهم إنا نسألك علما نافعا وعملا صالحا ورزقا طيبا . نواصل القراءة في كتاب «أصول الإيمان» لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وغفر له .

قال المؤلف رحمه الله تعالى وغفر له وللشارح والسامعين :

وله عنه مرفوعا : ((إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا))

قال رحمه الله: «وله» أي مسلم في صحيحه «عنه» أي عن أنس بن مالك رضي الله عنه «مرفوعا» أي إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا)) ؛ وهذا الحديث فيه إثبات صفة الرضا لله جل وعلا ، فيه التعريف بالله عز وجل ببيان هذه الصفة العظيمة من صفات الرب العظيم جل وعلا، وأنه عز وجل يرضى .

والرضا صفة فعلية لله جل وعلا ، والصفات الفعلية هي المتعلقة بالمشيئة ، مشيئة الله عز وجل ، فهو عز وجل يرضى عن من يشاء ويسخط على من يشاء ، كما أنه يحب من يشاء ويبغض من يشاء ؛ فهذه كلها صفات فعلية لله جل وعلا . والرضا هذه الصفة دل عليها القرآن في غير موضع وفي غير ما آية؛ ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ ؛ أثبت رضاه عن المؤمنين سبحانه وتعالى ، وأثبت أيضا رضا المؤمنين عنه ، والمؤمن رضي بالله ربا ورضي برسله ورضي بدينه، وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَمُحَمَّدٍ رَسُولًا)).

والله عز وجل من أوصافه كما يدل هذا الحديث أنه يرضى ؛ يرضى عن أهل الإيمان كما أنه رضي الإسلام دينًا لهم، قال عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] ، فمن ارتضى لنفسه الدين الذي رضيه الله تبارك وتعالى لعباده وعمل به وحافظ عليه رضي الله عنه ، ومن لم يرتض لنفسه دين الله تبارك وتعالى الذي ارتضاه لعباده سخط الله عليه، قال عز وجل: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧] ، وقال عن الكفار: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا سَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ [محمد: ٢٨] أي بما مالوا إليه من الكفر والإعراض عن دين الله والإقبال على الأمور التي تسخط الله تبارك وتعالى وتغضبه .

فالرضا صفة عظيمة من صفات الله جل وعلا ، ومما يجب على المسلم أن يعرف به ربه : أن يعرف أن ربه يرضى ويسخط ؛ وهذا يدفع العبد إلى النظر في الأعمال والقربات والطاعات التي ينال بها رضا الله تبارك وتعالى ليفعلها فيفوز برضا ربه سبحانه وتعالى ، وأيضا في الوقت نفسه ينظر في الأعمال التي تسخط الله جل وعلا وتغضبه ولا ينال بها العبد رضاه فيبتعد عنها ويحذر من مقارفتها والوقوع فيها .

والمصنف رحمه الله نبه على هذه الصفة وثبوتها لله عز وجل بإيراد هذا الحديث ؛ وإلا فإن النصوص الواردة في إثبات هذه الصفة في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه كثيرة جدا .

قال صلى الله عليه وسلم : ((إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا)) هذا مما يرضى به تبارك وتعالى عن عبده ؛ إذا أكل أو شرب أن يعترف في قرارة نفسه وفي قلبه بنعمة الله عليه ، وأن هذا فضل الله وأن النعمة نعمة الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ؛ فيكون أولا مقرا بنعمة الله عز وجل عليه معترفا بفضله سبحانه وعطائه ونواله ، وعارفا أن المنعم هو الله، المتفضل هو الله ، الرزاق هو الله ، الكريم هو الله ، مقرا بذلك ، ثم يشكر الله عز وجل على النعم ويحمده تبارك وتعالى عليها ، فإذا أكل الأكلة قال "الحمد لله" ؛ لأن هذه الأكلة هي منة الله عليه وفضله ، فيأكل الأكلة فيحمد الله تبارك وتعالى عليها ، ويشرب الشربة فيحمد الله ، وإذا لبس ثوبا جديدا قال "الحمد لله الذي كساني

هذا" ، يحمد الله عز وجل على نعمه ، بل يسأل الله عز وجل أن يوزعه شكر نعمه ، ويستعمل نعم الله عز وجل في طاعته ورضاه وما يقرب إليه .

فإذا كان العبد بهذه الصفة رضي الله تبارك وتعالى عنه ، إذا كان إذا وصلت إليه النعمة اشتغل بالحمد ، بخلاف كثير من الناس في مسألة الطعام والشراب ؛ إذا طعم أو شرب لا يتحدث عن المنعم حمداً له وشكراً وإنما يتحدث عن الطاهي للطعام وصفة طهيهِ للطعام ومهارته فيه وما إلى ذلك من الأمور التي يُشتغل بالحديث عنها ويُغفل عن حمد المنعم سبحانه وتعالى وشكره سبحانه على منته وإفضاله . ولا بأس بالحديث الذي أشرت إليه لا بأس لو وقع إذا كان عن حمدٍ لله واعترافٍ بنعمة الله وثناءٍ على الله عز وجل ، أما أن يمضي الإنسان في حياته غافلاً وكل حديثه عن الأسباب وغافلٌ عن المنعم المتفضل المان فهذا نوع من الغفلة لا ينال بها العبد خيراً ، بل الخير يناله العبد باستشعار نعمة الله سبحانه وتعالى عليه وبحمده لله عز وجل وشكره لنعمه ، ولهذا أثنى سبحانه وتعالى على أنبيائه بذلك ﴿ شَاكِرًا لِّلنَّعْمِ ﴾ [الحل: ١٢١] يشكر نعمة الله عليه ، دائم الشكر لله سبحانه وتعالى على نعمه ، شكرٌ دائم شكر مستمر ماضٍ مع العبد في لياليه كلها وأيامه جميعها يكثر من حمد الله جل وعلا وشكره سبحانه على نعمه ؛ فهذا مما ينال به رضا الله .

الحديث يثبت صفة الرضا لله جل وعلا ، ويثبت في الوقت نفسه ما يُنال به الرضا ، وهذا الحديث فيه تنبيه على الصفة وتنبيه على ما تقتضيه الصفة من عبودية لله جل وعلا ، وهذا أمر ينبغي أن يُنتبه له في باب الصفات وفقهها؛ أن العبد يؤمن بالصفة ويثبتها لله عز وجل على الوجه اللائق بجلاله وكماله ، ثم يشتغل بالعبوديات التي تختص بالصفة وتقتضيها ، وقد قال أهل العلم : إن لكل اسم من أسماء الله تبارك وتعالى عبودية هي من مقتضياتها وموجبات الإيمان بها ، فإذا آمن العبد بأن الله عز وجل من أوصافه الرضا ، ومن فاز برضا الله عنه فاز بكل خير في الدنيا والآخرة ، وسلم من كل ضر وشر في الدنيا والآخرة ، فإذا علم العبد أن ربه تبارك وتعالى من أوصاف جلاله ونعوت كماله أنه يرضى سبحانه ؛ فهذا يحرك في القلب حرصاً على معرفة الأعمال التي يُنال بها رضاه سبحانه وتعالى وجداً واجتهاداً في القيام بها ، والحديث يرشد إلى شيء من الأعمال التي يُنال بها رضا الله ؛ أن يأكل العبد الأكلة فيحمد الله جل وعلا عليها ، وأن يشرب الشربة فيحمد الله جل وعلا عليها .

قال رحمه الله تعالى :

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّقَ لَهَا أَنْ تَنْطَبَّ ، مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعِ أَصَابِعِ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ لِلَّهِ ، وَاللَّهُ لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمُ لَصَحَحْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا ، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشِ ، وَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعْدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى)) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

قوله «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَصَحِحْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» في الصحيحين من حديث أنس .

ثم أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث حديث أبي ذر رضي الله عنه وأرضاه ، وهو من الأحاديث المبينة لعظمة الله جل وعلا وكمال قدرته وكمال تدييره جل وعلا ، وما أذخره لمن أطاعه من نعيم وثوابٍ عظيم ، وما أعد له لمن عصاه من عقاب أليم ؛ وهذه أمور لا تخطر ببال الإنسان من أمورٍ عظيمة وأحوالٍ مهيلة جاء في الكتاب والسنة إشارةً إليها وذكراً لأنواعها وأصنافها وشيء من تفاصيلها ، ولكن الحقائق تُدرك يوم القيامة عندما يفوز أهل الإيمان بنعيم الجنة وعندما ينال أهل الكفر عذاب النار . والنبي صلى الله عليه وسلم بينَ بياناً واقياً وفي الوقت نفسه أخبر فيما يتعلق بنعيم الجنة أنه ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء ، والله جل وعلا يقول في سورة السجدة: ﴿ تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴿ ، وفي الحديث يقول عليه الصلاة والسلام: ((يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ)) ، وابن عباس رضي الله عنهما يقول : «ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء» يعني عنب ورمان هذه أسماء أما الحقائق التي في الجنة فأمرٌ آخر وشأنٌ آخر .

فالشاهد أن الأمور التي أعدها الله عز وجل لعباده المطيعين في الجنة والعقوبات التي أعدها للعصاة أمور عظيمة جداً تدل على عظمة الله عز وجل ، وأنه ما خلق هذا الخلق عبثاً ولا أوجدهم باطلا ، بل أوجدهم لغاية عظيمة وهي أن يعبدوه ويقوموا بطاعته ، وأعد لمن أطاعه شيئاً عظيماً لا يخطر بالبال ، وأيضا من نكل وأعرض عما حُلق له وأوجد لتحقيقه أعد الله له عذاباً أيضاً لا يخطر بالبال ، يقول عليه الصلاة والسلام: ((لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَصَحِحْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا)) ؛ أمور مهيلة جدا الناس في غفلة عنها .

قال : ((لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَصَحِحْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا)) ؛ قال المصنف هذا الجزء من الحديث موجود في الصحيحين من حديث أنس ، أما السياق بطوله فهو في الترمذي من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

وقوله في حديث أبي ذر: ((أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَتَطَّطَّ)) هذا أيضاً مما يبين عظمة الله جل وعلا ببيان عظمة هذه المخلوقات وكثرتها ، فهي تدل على عظمة خالقها وكمال مبدعها سبحانه وتعالى وموجدتها ، ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [الدثر: ٢١] ، فالنبي صلى الله عليه وسلم هنا يقول: ((أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَتَطَّطَّ)) يعني ثقلت وصار لها صوت أطيظ ، والأطيظ: صوت من الثقل ، والثقل ناشئ عن كثرة الملائكة الذين على السماء خلقهم الله سبحانه وتعالى وأوجدهم . أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى كثرتهم قال : ((مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ لِلَّهِ)) ، فالسماء ثقلت وصار لها صوت أطيظ من كثرة الملائكة الذين عليها ، فهذا يدل على

كثرة الملائكة ، قال عز وجل في بيان كثرتهم: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُعْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٦] ؛ «كم» للتكثير تكثيرية ، فهم عددٌ كثير لا يعلمهم إلا الذي خلقهم وأوجدهم سبحانه وتعالى .

ثم خلق الملائكة يختلف عن خلق الناس ؛ آتاهم الله عز وجل بسطة وكبر وسعة وعظم في الخلق والقوة والقدرة ، أمور جاء شيء كثير منها مبيناً في كتاب الله عز وجل يدل على عظمة خالقها ، خذ مثلاً واحداً -وسياًتي عند المصنف لاحقاً أمثلة- قول النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح : ((أذن لي أن أحدثكم عن أحد الملائكة وهو من حملة العرش ؛ ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه تخفق فيه الطير سبعمائة سنة)) ؛ يعني لو طار طير من عاتق الملك متجهًا إلى شحمة أذنه يحتاج إلى سبعمائة سنة طيران حتى يصل إلى شحمة الأذن ، هذا أحد الملائكة .

هذا الخلق العظيم الذي بُيِّن ودُكر والتفاصيل التي ذكرت عن هذه المخلوقات في السنة وفي القرآن وأيضاً في هذا الحديث ثقلت السماء بمن عليها من الملائكة ؛ هذا كله يدل على عظمة الخالق لهذه المخلوقات والمبدع لهذه الكائنات والمسخر سبحانه وتعالى ومن بيده أزمة الأمور . وجميع هذه المخلوقات على تنوعها واختلافها واختلاف مواضعها وأماكنها في السماء وفي الأرض وفي بطون الأرض وفي البحار ؛ كل هذه المخلوقات رب العالمين أخذ بناصيتها ، جميعها تحت تسخير وطوع تدييره جل وعلا ، في حركاتها في سكناتها في جميع أمورها طوع تديير الله سبحانه وتعالى ، أحاط علمه بها كلها ، فما يقع من أي مخلوق من هذه المخلوقات دق أو جل صغر أو كبر إلا وأحاط به علم الله تبارك وتعالى ونفذ فيه تدييره وتسخيره ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، الخلق خلقه والملك ملكه جل وعلا؛ فهذا مما يبين عظمة الله عز وجل بذكر هذه المخلوقات العظيمة التي أوجدتها الرب العظيم وخلقها سبحانه وتعالى . قال: ((أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَتَطَّ ، مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعِ أَصَابِعِ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ لِلَّهِ)).

((وَاللَّهُ لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمُ)) أي مما أعده الله سبحانه وتعالى من عقوبة لمن عصاه .

ولاحظ تسلسل الحديث في تقرير معنى مهم ((أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَتَطَّ ، مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعِ أَصَابِعِ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ لِلَّهِ)) ؛ الملائكة خلقهم الله عز وجل وجعل فيهم العبادة إلهامًا ، فهم ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] ، ﴿يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠] ، هم في دوام عبادة الله ، العبادة عندهم مثل النفس عند المخلوقين، منتظمين عليها ليس فيهم معصية ، لا يعرف في الملائكة شيء اسمه معصية بل حياتهم كلها طاعة ، المعصية لا توجد عندهم ولا تُعرف عندهم ، خلق الله تبارك وتعالى وجعله مطيعًا والله على كل شيء قدير ، خلقهم جل وعلا وأوجدهم بهذه الصفة مطيعين بدون معاصي ، سخرهم وجعلهم مطيعين ، لا يعصون الله هكذا وصفهم في القرآن ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾

﴿التحریم: ٦﴾ ، جعلهم الله سبحانه وتعالى بهذه الصفة ؛ في دوام عبادة ودوام تسبيح ودوام ذكر ودوام تعظيم لله سبحانه وتعالى وامتنال لأوامره ولا يعرف شيء اسمه معصية في حياة الملائكة ، حياتهم كلها طاعة لله سبحانه وتعالى .

فذكر خلقه لهذه المخلوقات وذكر أيضاً شأن هذه المخلوقات في طاعة الله قال: ((أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّقَ لَهَا أَنْ تَتَطَّ ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ لِلَّهِ)) ثم أشار عليه الصلاة والسلام بعد هذا إلى العقوبات المعدّة لمن خرج عن الطاعة وخرج عن الذل والسجود والخضوع لله سبحانه وتعالى والانكسار بين يديه عز وجل فأشار إلى العقوبات المعدة ؛ فهذا فيه لفت انتباه أن الخلق خُلِقُوا ليعبدوا الله ، وأن الثقلين أوجدتهم الله عز وجل ليقوموا بعبادة الله سجودًا وركوعًا وذلاً وخشوعًا وامتنالًا وانقيادًا إلى غير ذلك من الطاعات ، خلقهم الله لذلك ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] . من خرج على هذه الطاعة له عقوبة أعدّها الله له يوم القيامة؛ فينبه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث على خطورة هذه العقوبة وأنها ليست بالهينة ، أشار إلى خطورتها وشدتها وفداحتها وعظمتها بقوله: ((لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمُ)) يعني مما أعدّه الله لمن عصاه من عقوبات ((لَصَحِحْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا)) لأنه أمر مهيل جدًا ، ((وَمَا تَلَدَّدْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشِ)) لأنه كلما أراد أن يتلذذ الإنسان وردت في ذهنه تلك العقوبات فصرفته عن لذته .

((وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى)) أي بالدعاء أن يرحمكم وأن يغفر لكم وأن يعفو عنكم وأن يلفظ بكم ؛ «لخرجتم في الصعدات» قالوا «في الصعدات» : في الطرقات تجأرون إلى الله ، وقالوا «في الصعدات» : أي في الصحراء في العراء تجأرون ، و«تجأرون» : أي تلحون على الله عز وجل وتكررون الدعاء والسؤال والطلب ، يقول عليه الصلاة والسلام ((كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هَابِطًا مِنَ السَّمَاءِ وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللَّهِ بِالتَّلْبِيَةِ)) ، فالجؤار وتجأرون : أي تكررون وتلحون وترفعون أصواتكم بالدعاء تسألون الله عز وجل أن يلفظ بكم وأن يعفو عنكم وأن يقيكم من عذابه ومن سخطه .

((لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمُ)) وهذا ينبه إلى فائدة مهمة جدا في باب الإيمان وهو: أن صحة العلم وسلامة العلم فيه نفع للإنسان في صلاح أموره ، وأن نقص العبادة عند العبد والإقبال على الله ووقوعه في المعاصي فرع ضعف العلم ، إذا ضعف العلم ضعف العمل وضعفت الطاعة ، وإذا قوي العلم في قلب الإنسان قوي إقباله على الله سبحانه وتعالى ، ولهذا ربط عليه الصلاة والسلام هنا بين العلم وبين ؛ قال ((لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمُ لَكَذَا)) فيه ارتباط بمعنى أن العلم كلما قويت درجته عند العبد قوي فيه العمل ؛ ولهذا لاحظ الحديث قال: ((إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا)) فيه ارتباط بين التقوى والعلم ؛ كلما عظم نصيب العبد من العلم بالله عظم حظه من تقوى الله عز وجل .

إذًا هذا الحديث صلته بالترجمة وهي «باب معرفة الله والإيمان به» أن فيها التنبيه على عظمة الله جل وعلا، وفيها التنبيه على أن المعرفة بعظمة الله عز وجل وبما أعده من ثوابٍ وبما أعده من عقاب توجد عند العبد صلاحًا واستقامةً وإقبالاً على طاعة الله عز وجل .

قال رحمه الله تعالى :

ومسلم عن جندب رضي الله عنه مرفوعا : قَالَ رَجُلٌ «وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ» ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ((مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ!! إِيَّيَّ قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَبْتُ عَمَلَكَ)).

ثم أورد المصنف رحمه الله هذا الحديث العظيم في باب معرفة الله والإيمان به سبحانه ، وأن من معرفة الله على ضوء هذا الحديث العظيم أن يعرف العبد أن الله عز وجل واسع المغفرة ، وأنه جل وعلا يغفر الذنوب ، وأنه لا يتعاضمه ذنب أن يغفره ، ﴿يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] ؛ يغفر الذنب لو كان الذنب فيه تعدٍ في حق الله من سيِّ أو قولٍ على الله بلا علم ، أو نسبةٍ لله ما لا تليق به جل وعلا ، أو تفريط في جنب الله ، أو غير ذلك من أنواع الذنوب ، الذنوب كلها يغفرها الله في حق من تاب وأتاب إلى الله جل وعلا ، والله عز وجل أخبر عن نفسه بذلك: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]؛ «جميعا»: أي بما فيها الشرك والكفر والإلحاد والفسق الذنوب جميعا ، أيُّ ذنب كان يغفره الله في حق من تاب ، ولهذا قال في الآية ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾ : أي توبوا إلى الله وأنيبوا إلى الله ، فإن الله عز وجل يغفر الذنوب جميعا .

ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله عز وجل في سورة النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] ؛ في سورة النساء قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ ، وفي آية الزمر قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ ولا تعارض بين الآيتين ، لأن آية الزمر في حق من تاب ، قال ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾ أي: توبوا إلى الله، فهي في حق من تاب ، من تاب تاب الله عليه مهما كان ذنبه ومهما عظم جرمه ، وآية النساء في حق من مات على ذلك من مات مشركا لا مطعم له في مغفرة الله ولا سبيل له إلى نيل رحمة الله، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ [فاطر: ٣٦] ليس له مطعم أبداً في نيل مغفرة الله عز وجل ورحمته بل ليس له إلا العذاب الأبدي والعقاب السرمدى ، أما من كان على قيد الحياة في الدنيا في ميدان العمل مهما كانت ذنوبه ومهما كان جرمه فالله غفور رحيم ، لو بلغت ذنوب العبد عنان السماء يقول الله عز وجل في الحديث القدسي: ((يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ - أي

السحاب - ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي عَفْرَتْ لَكَ وَلَا أُبَالِي)) هذا كلام الرب سبحانه ((يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي عَفْرَتْ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي)) ، فالله عز وجل يغفر الذنوب جميعا ولا يتعاضمه ذنب مهما كانت الذنوب .

ولهذا من أيس الناس من التوبة والإجابة وقنطهم منها فهو متألي على الله سبحانه وتعالى ، كيف يقول في حق الله عز وجل مثل هذا القول؛ والله عز وجل فتح باب التوبة وقيل توبة من تاب واستغفار من استغفر!! وبالباب فتحه ((إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل)) ، باب الرحمة والمغفرة ، والتوبة والإجابة مفتوحة لكل أحد ، فإذا من المعرفة بالله عز وجل أن يعرف المسلم أن الرب العظيم واسع المغفرة ، وأنه يغفر الذنوب مهما عظمت ومهما كانت ، فمن قنط عباد الله ويأسهم من التوبة فقد قال على الله عز وجل بلا علم ، وهو من شر الناس وأسوئهم حالاً من يقنط الناس ويأسهم من توبة الله عز وجل .

قول الله عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [الروح: ١٠] قال ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ دعاهم إلى التوبة ، أحد السلف قرأ هذه الآية وقال : «انظروا هذا الكرم ، انظروا هذا الجود! قتلوا عباده، أجبوا ناراً لأوليائه ألقوهم في النار ويقول ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾!!» ، باب التوبة مفتوح لكل أحد مهما كان ذنبه. فإذا تألى الإنسان على الله عز وجل ونظر في ذنوب وقع فيها أشخاص أو شخص وقال "هذا لا يتوب الله عليه وهذا لا يغفر الله له" ؛ هذا تألى على الله وقول على الله بلا علم .

وانتبه هنا ؛ الحديث ينبهك على مسألة عظيمة جدا في باب الصفات ، ليس هذه الصفة فقط وإنما في عموم الصفات ؛ ألا وهي: خطورة القول على الله بلا علم في صفاته ، وانتبه لها هذه فائدة عظيمة جداً يدل عليها هذا الحديث ؛ خطورة القول على الله بلا علم في صفاته ، سواءً في جانب النفي أو في جانب الإثبات .

● في جانب الإثبات: أن يثبت لله عز وجل من الصفات ما لا يليق به .

● وفي جانب النفي: أن ينفي عن الله سبحانه وتعالى من الصفات ما يليق به .

وهنا في هذا الحديث أشار النبي عليه الصلاة والسلام إلى أي النوعين؟ إلى النوع الثاني : نفي ما أثبتته ، الله عز وجل أثبت في كتابه مغفرة واسعة من الذنوب جميعا ثم يأتي بعض الناس ويقول "هذا الذنب لا يُغفر وهذا الشخص لا يُغفر له" ؛ هذا قول على الله بلا علم ، الله عز وجل أثبت لنفسه مغفرة واسعة ﴿يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ ، وذكر مغفرته في آيات كثيرة وذكرها النبي عليه الصلاة والسلام في أحاديث عديدة ثم يأتي شخص ويقول على الله بلا علم "هذا لا يغفره الله وهذا الشخص لا يغفر الله له وهذا لا يتوب الله عليه" أو نحو هذا الكلام !! هذا قول على الله بلا علم في صفات الله جل وعلا ، من أنت حتى تقول "الله لا يغفر لهذا؟! أو هذا لا يتوب عليه؟! أو هذا لا يستحق أن يتاب عليه؟! أو هذا مجرم لا يناله مغفرة الله؟! أو نحو ذلك ، هذا أمر بيد الله عز وجل ،

ومن خاض في هذا خاض في صفات الله بلا علم . إذاً الحديث ينبه على مسألة جليلة وعظيمة جداً وهي خطورة القول على الله بلا علم ، قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] .

أعيد ثانية في هذا الباب : خطورة القول على الله في أسمائه وصفاته بلا علم تتناول الجانبين: جانب الإثبات وجانب النفي ؛ الإثبات القول على الله بلا علم فيه : بأن ينفي الله ما أثبتته الله ، والنفي: خطورة القول فيه بلا علم : أن يثبت الإنسان ما نفاه الله؛ فكل من الأمرين خطير ، وليس لأحد أن يقول في الله عز وجل في باب الإثبات والنفي إلا ما جاء في الكتاب والسنة ، كما قال الأوزاعي رحمه الله : «ندور مع السنة حيث دارت» أي نفيًا وإثباتًا، ما ثبت في الكتاب والسنة أثبتناه ، وما نفي في الكتاب والسنة نفينا لا نتجاوز القرآن والحديث ؛ هذا هو النهج السديد والطريق القويم . أما من خاض في هذا الباب بغير علم فأثبت ما نفي أو نفي ما أثبت فهذا جرماً خطيراً وذنبا عظيماً .

في مجال الإثبات: يقول الله عز وجل مبينا خطورة نفي ما أثبتته الله ؛ قال عز وجل في حق من خاضوا في علمه بغير علم: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَأَكُمْ فَاصْبِحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣] قبلها ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنْ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢] ظننتم أن الله لا يعلم ؛ هذا ما هو الآن ؟ هل هو نفي لثبوت صفة العلم لله أصلا؟ أو إثبات لها ولكنهم قالوا إن الله لا يحيط علمه بكل المخلوقات؟ ﴿ظَنَنْتُمْ أَنْ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا﴾ يعني الآية تفيد أنهم يثبتون أن الله عنده علم ولكن علمه ليس محيط ، أيضا من يقول الله عنده مغفرة ولكن مغفرته لا تشمل هذا أو لا تشمل ذاك أو نحو ذلك ؛ هذا كله من نوع الغلط في الأسماء والصفات ، الغلط قد يكون بجحد الصفة أصلا ، أو بجحد شيء من تفاصيل هذه الصفة ، فقد يكون بجحدها أصلا ، وقد يكون بإثبات الصفة مثل أن يثبت الإنسان العلم ولكن يجحد شموله لجميع المعلومات ، أو يثبت المغفرة ولكنه يجحد مغفرته لبعض الذنوب أو لبعض الأشخاص أو نحو ذلك ؛ هذا كله قول على الله بلا علم ، ماذا ترتب عليه؟ قال: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَأَكُمْ فَاصْبِحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣] أي أوقعكم في الردى . هذا الجانب الأول: نفي ما أثبتته الله لنفسه .

الجانب الثاني: إثبات ما نزه الله عنه نفسه هذا ، أيضا غلط عظيم في باب الصفات ، انظر مثالا له في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨] ، نوع الخطأ هنا ما هو؟ إثبات شيء نزه الله نفسه عنه ﴿لَمْ

يَلِدُ وَلَمْ يُوَلَدْ ﴿الإخلاص: ٣﴾ ، فأثبتوا لله ما نزه الله نفسه عنه ، ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿[مریم: ٨٨-٩١] .

فالخطأ في الصفات سواء في باب النفي أو في باب الإثبات من أعظم الخطأ وأشنعه ، فالحديث فيه بيان فيما يتعلق بمعرفة الله عز وجل والنهج القويم في هذا الباب وهو أن المسلم في باب الصفات يثبت لله تبارك وتعالى ما أثبتته الله جل وعلا لنفسه ، وينفي عنه سبحانه ما نفاه عن نفسه ، ويعظم ربه جل وعلا ، ويكون حديثه في هذا الباب في حدود دلالات كتاب الله عز وجل وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام .

وانظر خطورة الغلط مرة ثانية في هذا الحديث الذي بين أيدينا ، قال عليه الصلاة والسلام : ((قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ)) ؛ هنا نوع غلط هذا الرجل أنه خاض في صفات الله بغير علم ، وتكلم في صفات الله بلا فهم ولا علم ولا دليل ، أين دليله على قوله هذا "لا يغفر الله" ، ينفي عن الله وصفاً أين الدليل؟ هو لم ينف عنه صفة المغفرة أصلاً، لم يقل إن الله لا يغفر ، يثبتها ، ولكنه قيدها حَجْرًا واسعاً قيدها "والله لا يغفر الله لفلان" ، فماذا قال عليه الصلاة والسلام؟

((فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ)) ؛ خذ من هذا فائدة أن الخطأ في باب الصفات تألي على الله عز وجل ، قول في الله وفي عظمته وفي رحمته وفي جلاله وفي كرمه وفي مته قول على الله سبحانه وتعالى بلا علم تطاول ، ((مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ!!))

((إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَك)) أي أنه سبحانه وتعالى هياً لفلان هذا الذي قال عنه ذلك القائل إن الله لا يغفر له هياً له إقبالاً على التوبة إلى الله عز وجل والإجابة إليه وشرح صدره لها وقبل منه توبته ، وأحبط عمل هذا القائل على الله بلا علم ؛ فهذا يدل على خطورة الغلط وأنه في غاية الخطورة على الإنسان .

قال: ((إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ)) وهنا أيضا فائدة في باب التوبة ؛ توبة الله عز وجل على عبده التي يدل عليها اسمه «التواب» ، أهل العلم يقولون: إن توبة الله على عبده نوعان:

١. توبة من الله على عبده قبل توبة العبد .

٢. وتوبة من الله على عبده بعد توبة العبد .

● التوبة التي قبل توبة العبد هي توفيق الله لعبده للتوبة كما قال عز وجل ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة: ١١٨] أي شرح صدورهم وهياها وجعلها تُقبل على التوبة ، فإذا إقبال الإنسان على التوبة وعلى الاستغفار وعلى الإجابة وعلى الرجوع إلى الله هذا أمر بيد من ؟ بيد الله سبحانه وتعالى ، لولا أن الله يشرح صدر العبد للتوبة ويهديه لها ويوفقه إليها وإلا لا يتوب العبد ، فتوبة العبد بيد الله .

● وأيضا قبول التوبة والعفو عن السيئات وغفران الذنوب أيضا الأمر بيده سبحانه وتعالى .

وهذا مما يبين لنا عظم جرم هذا القائل لما قال على الله "إن الله لا يغفر لفلان" ؛ هذا جرم عظيم ، من أنت حتى تقول في شأن الله هذا "لا يتوب على فلان أو لا يغفر لفلان" ؛ بيده أزمة الأمور ، يهدي من يشاء سبحانه وتعالى ويضل من يشاء ، يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، تجد الإنسان نشأ في بيوت كلهم أموات بالكفر ويحييه الله من بينهم ، يخرجهم من بينهم حيًا بالإسلام ينقذه الله سبحانه وتعالى ، وترى آخر ينشأ في بيوت الإسلام ويرتد على عقبيه والعياذ بالله ، فلا يتألى الإنسان على الله ، ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [فاطر: ٨٠] ... إقبال على الله لأن الأمور كلها بيد الله ، غفران ذنوبك توبتك إلى الله إنابتك إليه ، ثباتك على طاعته ، سلامتك من الضلال ، كل ذلك بيد الله سبحانه وتعالى .

وانظر هذا الرجل الذي كان في غفلة وضياع ومقارفة للمعاصي وارتكاب للجرم والذنوب هيئ الله عز وجل له هذا السبب فكان سببًا لتوبته وإنايته ورجوعه إلى الله عز وجل . انتبه هنا ، يعني قد يقول الإنسان مقالة في شخص ما من العصاة هذا فيه ما لا فيه ، وهذا لا يمكن أن يتوب وهذا .. فيتحول بإذن الله تبارك وتعالى هذا الشخص الذي قيل فيه هذا الكلام يتحول إلى أصلح الناس وأحسنهم حالا ، التوفيق بيد الله ، وقد يُخذل الآخر بسبب سوء ظنه بالله وقوله على الله بلا علم . فالواجب على العبد أن يعرف نفسه أنه عبد لله ؛ فيتدلل بين يديه ، وينكسر ويطلب منه الهداية والمغفرة والعون ، ويدعو إلى دينه على بصيرة ، ويحذر غاية الحذر من مثل هذا المنزلق الذي هو أخطر المنزقات وأشنعها وهو باب القول على الله سبحانه وتعالى بلا علم .

وأختم هنا فيما يتعلق بهذا الحديث ؛ هذا الحديث من أعظم الدلائل على فساد الطرائق المنحرفة التي عليها أرباب الكلام ، عندما يخوضون في صفات الله تبارك وتعالى بلا علم . أوضح لكم القضية ؛ هذا الرجل الذي قال "إن لا يغفر لفلان" هذا الاستنتاج الذي توصل إليه "إن الله لا يغفر لفلان" مبني على ماذا ؟ هل هو قالها هكذا؟ وإلا مبنية على استنتاج معين؟ مبنية على استنتاج ؛ ما هو؟ عقله ، بدأ يحرك عقله القاصر في هذه المسألة ، وعقله بدأ يعدد : فلان أذنب كذا ويوم كذا فعل كذا وفعل كذا واعتدى على كذا ، وأخذ يحلل المسألة عقليا وتوصل بعقله القاصر إلى ماذا؟ إلى جحد هذا ، النتيجة التي توصل إليها بعقله ما هي؟ لا يغفر الله لفلان ؛ أحبط الله عمله ، استنتج بعقله ثم وصل إلى نتيجة لا يغفر الله لفلان ، هذا الاستنتاج العقلي الذي توصل به هذا الرجل إلى هذا الجحد -وهو أيضا لم يجحد الصفة من أصلها وإنما جحد شيئا من تفاصيلها وقيد الصفة - هذا الاستنتاج العقلي الذي توصل إليه بعقله ترتب عليه حبوط عمله . اقرأ مثل هذه الاستنتاجات العقلية المبني عليها جحد صفات الله في كتب المتكلمين، ليس لها حد ، استنتاجات عقلية وبينون عليها جحد الصفات ، تجدهم يقول مثلا : لو قلنا إن الله عز وجل يرضى للزم أن يكون كذا ، ولو كان كذا للزم أن يكون كذا ، ويأتي باستنتاجات عقلية يسردها في

الكتاب على أنها نوع من العلم وحقائق و يقينيات يسمونها ، ثم النتيجة جحد الصفات ، رب العالمين يثبت لنفسه وهم يجحدون! .

هذه خلاصة الأمر رب العالمين يثبت؛ أثبت لنفسه الرضا ، أثبت لنفسه الاستواء على العرش، أثبت لنفسه الرحمة، أثبت لنفسه العلو ، أثبت أثبت أثبت صفات كثيرة وفي كتب المتكلمين قوائم من الاستنتاجات يُبنى عليها جحد الصفات، هذا من أخطر ما يكون لو تفكر هؤلاء لو كانوا يعقلون وتفكروا في هذا الحديث فقط لأوجد في قلوبهم خوفاً من هذا الباب ، لو تفكروا في هذا الحديث فقط لعرفوا النهج المبارك الذي كان عليه أئمة السلف ، ما يقولون حرف في صفات الله إلا بآية وحديث ، تجد كتب السلف رحمهم الله يقولون : "من صفات الله الرضا مثلا، أو من صفاته اليبدين ، أو من صفاته كذا ؛ حدثنا فلان عن فلان عن فلان عن فلان قال صلى الله عليه وسلم، أو يأتي بالآية من القرآن" ؛ هذه طريقتهم . وهؤلاء أقحموا عقولهم القاصرة وبدأوا يستنتجون وكانت نتيجة الاستنتاجات هي ماذا؟ جحد صفات الله سبحانه وتعالى ، تقرأ في كتب المتكلمين نفيًا موسعا مطولا لصفات تراها ثابتة في كتاب الله عز وجل وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

وها هنا يأتي سؤال وهو: أي الفريقين أحق بالأمن؟ أي الفريقين أحق بالسعادة؟ أي الفريقين أحق برضا الله سبحانه وتعالى؟ من جعلوا طريقتهم في هذا الباب الإثبات لما أثبتته الله ولما أثبتته رسوله عليه الصلاة والسلام ونفي ما نفاه الله ونفاه رسوله عليه الصلاة والسلام لا يتجاوزون القرآن والحديث ، كما قال الإمام أحمد رحمه الله «نصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا تتجاوز القرآن والحديث» ، هذا الفريق؟ أو الفريق الذي مبني اعتقاده على الاستنتاجات؟ وها أنت قد خبرت نتيجة الاستنتاج العقلي بصفة واحدة ، أيضا لم يُبين على هذا الاستنتاج العقلي جحد الصفة من أصلها وإنما جُحد بعض تفاصيلها فما بالك باستنتاجات عقلية كثيرة بُني عليها جحد الصفات من أصلها ومن أساسها !! فيقولون عن الله لا يرضى ولا يجب ولا يسخط ، ويقولون عن الله لم يستو ، ويقولون عن الله أشياء كثيرة الله أثبتتها لنفسه وأثبتها له رسوله عليه الصلاة والسلام ، ويا سبحان الله أنتم أعلم أم الله؟! ونبينا عليه الصلاة والسلام يقول عن نفسه: ((إِنَّ أَتَقَاكُمْ وَأَعَلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا)) ، ثم يتكون هذا العلم الذي جاء عن الله وهذا العلم الذي جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقحمون عقولهم التائهة التافهة الحقيرة ويستنتجون بناءً عليها هذه الاستنتاجات الباطلة ، بل قالوا - وكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا- بل قالوا : "إن العقل مقدّم على النقل" ، العقل الذي ورط هذا الرجل الذي جاء الآن ذكره في الحديث مقدم عندهم على النقل ، النقل فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ وعقل هذا الرجل استنتج أن في ذنوب معينة لا تُغفر ؛ فأحبط الله عمله ، ويقولون إن العقل مقدم على النقل ، وإذا تعارض يقولون عقل على نقل نقدّم العقل، إذاً ما فائدة بعثة الرسل إذا كانت عقولكم هي المقدمة!! أحد السلف قال هؤلاء في الرد عليهم «إذاً ليقل الواحد منكم أشهد أن عقلي رسول الله» ، مادام أن العقل هو

المقدم وما جاء عن الرسول يزنه الإنسان بعقله فما وافق عقله قبله وما لم يوافق عقله رده ؛ أي إجرام وأي تضييع للدين أفضع من هذا وأشنع نسأل الله العافية والسلامة .

وعلى كل حال نرجع للحديث السابق وهو حمد الله على النعمة ((إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا)) ، على الإنسان هنا أن يقف وينظر ما هداه الله إليه من معرفته للحق والصواب ولزوم الكتاب والسنة والبُعد عن تلك الخرافات والضلالات التي تزينت في عقول أصحابها وتزخرفت في أذهانهم وأصبحوا يرونها علمًا سديدًا وأصبحوا هي علمهم الذي يتحدثون به ويسطّرونه في كتبهم ؛ وهي كلها ضلال وضياع ، على العبد أن ينظر في هذه النعمة التي هداه الله إليها في معرفة الحق فيحمد الله عز وجل عليها .

فحمد الله حمدًا كثيرًا على كل نعمة أنعم بها تبارك وتعالى علينا في قديم أو حديث أو سر أو علانية ، ونسأله تبارك وتعالى أن يوزعنا شكر نعمته ، وأن يثبتنا على صراطه المستقيم .

وصلّى الله وسلّم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .